

مکسیم غورکی

اَیام مع لنین



ڈارالف

مكسيم غوري

أيام مع لينين

دار الفيل

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

٥٣/١١

ان وصفه لمن الامور الصعبة . فلقد كان لينين في اقواله كالسمكة في قشرتها . كان بسيطاً ومستقيماً ؛ ككل شيء .
يقوله .

كانت بطولته غارية من البهاء الخارجي ان صح التعبير ، انما هي التفاني الرهباني والتواضع الموجود كثيراً في روسيا ، عند المثقف الثوري الشريف ، المقتنع اقتناعاً راسخاً بان العدالة الاجتماعية امر ممكن على الارض . هي بطولة شخص خصص جميع مسرات هذه الدنيا بالعمل القامي من اجل سعادة الانسانية .

... ما ازال ارى امامي ، بوضوح ، في جوار لندن ، الجدران الجرداء لكنيسة خشبية ليس ابأس من مظهرها ، والنوافذ النعوظية لقاعة صغيرة ضيقة تذكر بغرفة من غرف المدارس الفقيرة . لم يكن هذا البناء يشبه الكنيسة الا في مظهره الخارجي ، فلم يكن في الداخل اي شيء من اشياء العبادة ، حتى منبر الخطيب المنخفض لم يكن موجوداً امام الناظر في الطرف الاقصى من القاعة ، بل كان موجوداً عند المدخل بين بابين .

حتى ذلك الوقت ، لم أكن قد رايت لينين قط ، بل لم أكن قد قرأت له كما يجب . غير ان ما أعطيته لقراءته ، ولا سيما القصص المليئة بالحماسة التي كان يذكرها من يعرفه من الرفاق ، كانت تجذبني اليه جذبا لا يمكن مقاومته . فلما تعارفنا شد على يدي وسدد الي النظر من عينيه الثابتين ، وطفق يتحدثني بلهجة مازحة .

— لقد أحسنت بمجيئك ، لانك تحب العراق ، اليس هذا؟
حقيقيا ؟ ستحدث هنا معركة هوجاء .

كنت اتمله شيئا آخر . وكانت الفكرة التي كونتها لنفسني . عنه ينقصها شيء ما ، كان يلشغ في كلامه ، ويقف ويده . مدسوستان تحت ابطه ، وكأنا يطلب النزال . كاث يبدو ، بصورة عامة ، بسيطا الى الحد الاقصى في كل شخصه . ولا يتراى منه شيء من صفات « الزعيم » . انا اديب ، وهي مهنة تلزمني ان أذكر التفاصيل . وقد أصبح هذا الالتزام عادة ، لا يمكن احتمالها في بعض الاحيان .

عندما 'قدمت لغ . بليخانوف كان هذا واقفا ، ويدها . متشابكتان فوق صدره ، ينظر الي نظرة قاسية ، وبشيء من الضجر كما لو كان تعباً من التزاماته كأستاذ تجاه تلميذ جديد . وجهه الي جملة جارية تجري العادة : « انا معجب بنبوغك » . وباستثناء هذا لم يقل لي شيئا احتفظت به ذاكري . وطيلة انعقاد المؤتمر لم يشعر كلانا ، بالحاجة الى التحدث .

ولكن هذا الرجل الاشيب ، الالئغ ، المربوع القامة ، القوي ، الذي كان يمسح ، بيد ، جبهته السقراطية ، ويمجذب اليه ، باليد .

«الآخرى ،يدي، وهو ينظر الي، بود،من عينيه المشعتين ، المتلثتين
امتلاء غريباً بالحياة ، حدثني فوراً ، عن النواقص الموجودة في
كتابي « الام » الذي قرأ مخطوطة له أخذها من لاديجينكوف .
فقلت له اني كتبت هذا الكتاب بسرعة . ولم يسمح لي الوقت
بان أشرح له السبب . فأشار لينين برأسه إشارة الاستحسان وذكر
بنفسه السبب : لقد احسنت بالاسراع ، فقد كان هذا الكتاب
ضروريا ، وكان ثمة كثير من العمال يساهمون في الحركة الثورية ،
بصورة لا شعورية ، عفوية ، وربما افادتهم قراءة « الام » افادة
كبيرة .

« هذا الكتاب جاء في وقته » . هذا هو المديح الوحيد الذي
وجهه الي . ولكنه اثن مديح . ثم سألتني سؤال رجل عملي عما اذا
كانت « الام » قد ترجمت الى لغات اجنبية والي اي حد افسدت
الرقابة الروسية والاميركية الكتاب . ولما علم ان المؤلف قد
يمثل امام القضاء ، قطب جبينه ، ثم رمى برأسه الى وراء وأغلق
عينيه ، وانفجرت منه ضحكة جذبت بعض العمال . واقترب فوما
اورالسكي ، كما اظن ، وثلاثة رفاق آخري .

كنت في عيد ، فقد كنت بين ثلاثمائة شخص من منتخبي
الحزب ، انتدبهم الى المؤتمر ١٥٠ الف عامل منظم . كان امامي
جميع زعماء الحزب ، الثوريون القدماء : بليخانوف ، اكسلرود ،
ديتش ، فكان مروري طبيعياً جداً . ومن السهل ان يدرك
«القاري» ذلك ، لان حالتي المعنوية ، طيلة السنتين اللتين عشتها
بعيداً عن بلادي ، قد تدنت تدنياً قويا .

وفجأة ، وكما يحدث في القصص ، وجدت نفسي في مؤتمر الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي . لقد كان هذا عيداً بكل تأكيد !

ولكن هذا العيد لم يدم . فقد انتهى منذ الجلسة الاولى ، منذ المناقشات حول « جدول الاعمال » . وكان من طبيعة هذه المناقشات الصاخبة ، ان بردت حماسي فجأة ، ولم يكن يعود سبب هذا الى ما شعرت به من الانشقاق الكبير في الحزب بين الاصلاحيين والثوريين — شعرت بهذا الانشقاق منذ عام ١٩٠٣ — بمقدار ما يعود الى موقف الاصلاحيين العدائي من لينين . فقد كان الانشقاق يبرز وينبثق من خطبهم ، كما يبرز الماء وينبثق من « الانابيب » القديمة لمضخات الاطفاء ، تحت ضغط شديد .

المهم ، ليس دائماً ما يقال ، بل الصورة التي يجري فيها القول . فبليخانوف عند افتتاحه المؤتمر « ردنكوت » المزور من اعلاه الى اسفله ، كأحد الحوارنة البورتستانات ، كان يتكلم كما يتكلم معلم الديانة ، مقتنعاً بان افكاره لا يمكن دحضها ، وبان كل كلمة من كلماته ثمينة مثل لحظات سكوتيه بين الكلمات . كان يرسل ، بفن ، فوق رؤوس المؤتمرين ، جملاً منمقة ، مزوقة . ولما كان احدهم المندوبين في مقاعد البلاشفة يحرك شففيه ويهمس بشيء الى جواره ، كان الخطيب المحترم يتوقف لحظة ويرميه بنظرة ثاقبة كالسهم . كان احذ ازرار « ردنكوت » بليخانوف يتمتع بمحظوة خاصة لدى هذا الاخير ، فكان يربت عليه ابدأً ، ويسند اليه اصبعه في اثناء لحظات السكوت ، كما لو انه زر جرس من الاجراس . فكانه

في الوسع الاعتقاد ان هذا الضغط لا غيره هو الذي كان يقطع سير خطبته الرائق . وفي إحدى الجلسات استعد بليخانوف للاجابة على مندوب ، فشبك ذراعيه على صدره ، وقال بصوت عال ، وبازدراء :

— إحم ! إحم !

فطلق العمال البلاشفة يضحكون ، ورفع بليخانوف حاجبيه ، وشعب لون خده ، وأقول خده ، لاني كنت جالسا الى جانب المنبر ، وكنت ارى جانب وجهه الخطباء .

في اثناء خطاب بليخانوف ، في الجلسة الاولى ، كانت لينين اكثر البلاشفة حركة . فكان تارة يتقلص كما لو ان به برداً ، وتارة يتمدد كأنه يشعر بالحر . كان يدس اصابعه تحت ابطه ، ويداعب ذقنه وهو يمز رأسه النير . ولما اعلن بليخانوف ان « ليس هناك من انحرافيين (Revisionnistes) في الحزب انحنى لينين ، وبدأ رأسه الاصلع محمراً وكتفاه ترتجفان من ضحك خافت . وكانت العمال الجالسون الى جانبه ومن خلفه يبتسمون ايضا . ومن اقصى القاعة سأل شخص بلهجة قاسية :

— وهؤلاء الجالسون في الجانب الآخر اذن ؟

كان القصير «فيدور دان» ، يتكلم بلهجة رجل يعتبر الحقيقة الحقة ابنته الخاصة : انه ولدها ورباها وما يزال يرببها . «فيدور دان» هذا هو التجسيد الكامل لكارل ماركس ، اما البلاشفة فهم انصاف علماء ، فتيان سيئو التربية ، وهو ما يبدو ، بصورة خاصة من علاقتهم بالمشفيك الذين يوجد بينهم ، حسب زعمه ، « نظريون

«فذاذ في المار كسية» .

كان يقول بازدهاء :

— لستم انتم بمار كسين ، كلا لستم بمار كسين !

ويرقع في الهواء ، نحو اليمين ، قبضته الصفراء ...

وتساءل احد العمال بالقرب منه :

— ومنى ستذهب من جديد ، لتشرب الشاي مع الليبراليين ؟

لم اعد اذكر ان كان مارتوف قد تكلم في الجلسة الاولى .

كان هذا الرجل ، اللطيف جداً ، يتكلم بجملة كبرياء الشباب

وكان يبدو عليه انه يشعر شعوراً خاصاً بأساءة الانشقاق والسوء

الذي تولده التناقضات .

كان يرتعش ويضطرب ، ويفك بجرعة تشنجية ازرار قبة قميصه

المنشئ ، ويكثر من الحركات اثناء الكلام . وكانت نهاية اكمامه

تبتعد عن اكمام سترته وتغطي كفيه . فكان حينئذ يرفع ذراعيه

عالياً ويهزهما لكي تعود نهايتا الكمين الى المكان الذي يناسبهما .

ان مارتوف ، كما كان يبدو لي ، لا يثبت ، بل يتوسل ويترجى :

من الضروري وضع حد للانشقاق ، فالحزب أضعف من ان ينشطر

الى شطرين ، والعامل يحتاج قبل كل شيء الى « الحريات » . يجب

دعم الروح . كان خطابه احياناً هستيرياً تقريباً ، وكانت وفرة

الكلمات تجعله غير مفهوم . وكان الخطيب نفسه يبعث اشد

الانطباعات ارهاقاً . وفي ختام خطابه ، وبدون رابط ، كما يبدو

ولكن بلهجة قتالية ، اخذ يصرخ بجملة لا تقل عن السابق ضد

جماعات القتال ، وبصورة عامة ضد تحضير الثورة المسلحة . واني

تلاذكر جيداً ان احدهم هتف بدهشة من مقاعد البلاشفة :

— بل هو مضحك، لا جدال في الامر !

أعيد القول ! انني غير متيقن من ان مارتوف قد تكلم في
الجلسة الاولى ، ولست اذكره الا لكي أبين طريقته في الكلام .

وبعد خطابه كانت العمال ، وقد خاب املهم ، يقول بعضهم
لبعض بالقرب من قاعة المناقشات :

— حسنا ، هذا هو مارتوف ! ولقد كان من جماعة «الاييسكرا»

مع ذلك !

— ان لوهم يتحول ، هؤلاء الرفاق المثقفون .

كان من دواعي السرور الاصفاء الى « روزا لو كسمبورغ »
فقد كانت تتكلم بجرارة واحدة ، وكانت تستخدم سلاح السخرية
اتم استخدام . ولكن هوذا فلاديمير ايليتش يصعد الى المنبر بسرعة
ويقول لاثنا « ايها الرفاق » . كان يبدو لي انه لا يحسن القول ،
ولكن ما ان تقضت دقيقة حتى كنت ، كالجميع ، « مستغرقا »
بخطابه . كانت المرة الاولى التي اسمع فيها شخصاً يتكلم بكثير
من البساطة عن مسائل سياسية كثيرة التعقيد . لم يكن يسعى وراء
صياغة الجمل الجميلة ، بل كانت يعرض كل كلمة بوضوح ويعطيها
معناها المحدد . ومن الصعب جداً وصف الاثر الحارق الذي كان
يحذته .

كانت يده تمتد الى امام وترتفع ارتفاعا خفيفا عن مستوى
« الراحة » ، كما لو كان يزن كل كلمة ، قاضيا على جمل الحجم ومستبدلا
بها كلاما له تأثيره القوي وذلك بان يورد البراهين عن حق الطبقة

العاملة وواجبها في انتهاج طريقها الخاص وعدم السير وراء
البورجوازية الليبرالية، بل والى جانبها . كل هذا كان ممتازاً ،
ولم يكن يصدر ، ان صح التعبير ، عن لينين شخصياً ، بل عن
ارادة التاريخ . كان تماسك خطابه وطبيعته الكاملة المستقيمة
الصارمة يجعلان من الخطاب تحفة فنية كلاسيكية تحتوي على كل
شيء ، وليس فيها من فافل ولا تزوين ، وان وجد هذا التزوين فهو
غير مرئي ، لانه ضروري بطبيعة الحال ، ضرورة عيني الوجه
واصابع اليد الخمسة .

كان الخطاب ، من ناحية الطول ، اقصر من خطب الخطباء
الذين سبقوه ، اما من ناحية الانطباع المتولد عنه ، فأشد . ولم
اشعر وحدي بهذا . فمن خلقي كانت الهمسات تتصاعد باعجاب :
- انه غزير المادة ...

وفعلا ، فان كل حجة من حججه كانت تنسج من نفسها بالقوة
التي تشتمل عليها .

وكان المنشفيك يظهرون ، بدون ان يتضايقوا ، ان هذا
الخطاب كان كريماً عليهم ، وان قائله كان اكره . وكما اثبت
لينين ، اثباتاً دامغاً ، ان الحزب يجب بالضرورة ، ان يرتفع الى
مستوى النظرية الثورية ، اذا اراد ان يدقق في العمل بجميع
مظاهره ، كانوا يثيرون الضجيج لمقاطعة خطابه :

- لا محل للفلسفة في المؤتمرات !

- لا نريد وعظاً اخلاقياً ، لم نعد طلاباً !

وكان ثمة رجل ملحق ، طويل القامة ، له وجه صاحب حانوت

يكثر من الحركة إكثاراً غريباً ، ويقفز على مقعده ، ويفافىء في كلامه ويصرخ :

— م... م... متآمرون... انكم تلعبون دور ال... متآمرين !

ايها ال... بلانكيون !

وكانت روزا لو كسمبورغ تبدي موافقتها بإشارات من رأسها . وفي إحدى الجلسات التي تلت ، قالت للمنشفيك ، واحسنت القول :
— انتم ايضاً ، لستم بمتسككين بمواقع الماركسية ، انكم جالسون بل وثائون فوقها .

فدوى في القاعة صفير حاد وخبيث ، مفعم بالسخط والسخرية والحقد . وكانت المثات من الاحداق شاخصة باهتمام الى فلاديمير ايليتش . وكان يبدو غير مبال بهذه التهجمات العدائية ، ويتكلم بجرارة ولكن بصورة هادئة ومقنعة . وقد علمت بعد بضعة ايام ماذا كلفه هذا المظهر الهادى . كان من الغرابة والصعوبة ان يرى المرء ان افكاراً طبيعية كهذه يمكن ان تثير الحقد . وكانت على المرء ان يكون متسلحاً بنظرية الحزب حتى يفهم سبب الاختلافات في داخله . وكنت اشعر ان مناقشات المؤتمر كانت تجعل فلاديمير ايليتش ، في كل يوم ، اشد قوة ، وكانت تزيد جرأته وثوقه . في كل يوم ، كانت خطبه تزداد رسوخاً وكان المندوبون البلاشفة يصيحون اكثر عزماً وتشدداً .

كان بعض العمال الذين رأوا لينين للمرة الاولى ، يتكلمون ،

في (هايد بارك) ، عن موقفه في المؤتمر ، فصرح أحدهم تصريحاً له دلالة :

— وبما كان لدى العمال هنا ، في أوروبا ، زعيم في مثل ذكائه ، (كييل) مثلاً ، أو غيره ، أما أن يكون ثمة رجل يمكن أن أحبه لأول وهلة مثل هذا ، فلست اعتقد بذلك ، وأضاف عامل آخر مبتسماً :

— هذا من جماعتنا !

فاعترض عليه :

— وبليخانوف أيضاً من جماعتنا .

فسمعت جواباً جاء فيه :

— بليخانوف معلمنا ، سيدنا ، في حين أن لينين هو زعيمنا ورفيقنا .

فقال شاب ساخراً :

— (الردنكوت) هو الذي يزعم بليخانوف .

وذاث مرة دنا من فلاديمير ايليتش ، وهو ذاهب الى المطعم ، عامل من المنشفيك . فأبطأ لينين الخطى ، وترك مرافقه يتقدمونه . ووصل الى المطعم بعد خمس دقائق ، وقال متجهاً :

— مضحك مع ذلك أن يصل الى مؤتمر الحزب فتى في مثل هذه السذاجة . سألني ما هو السبب الحقيقي لخلافاتنا . فقلت له : إليك به . أن رفاقك يريدون الإقامة في البرلانت ، أما نحن فنعتقد أن على الطبقة العاملة أن تنهياً للنضال ، واطنه قد فهم ... كنا جماعة نتعشى في مطعم صغير غير غال . فلاحظت أن

فلاديمير ايليتش يأكل قليلاً جداً : « اومليت » من بيضتين او ثلاثة ، وقطعة صغيرة من الجامبون مع قدح من البيرة السوداء الكثيفة. كان يبدو انه يهمل نفسه . والذي كان يدهشني ، مقابل ذلك ، عنايته القصوى بالعمل . سأل مرة م. ف. اندرييفا ، التي كانت مسؤولة عن اعاشتهم :

— قولي ، اليس الرفاق جاتعين ؟ كلا ؟ احم ، احم .. ربما ينبغي زيادة السندويش ؟

وجاء الى الفندق الذي كنت انزل فيه ، فرأيت انه يحبس شرافف سريري باهتمام .
— ماذا تفعل ؟

— انظر الى الشرافف ، عساها ان لا تكون رطبه .
لم افهم باديء الامر . لماذا تهتم شرافف لندن ؟ وحين رأى دهشتي ، شرح لي :

— ينبغي ان لا تهمل صحتك .
في خريف ١٩١٨ ، سألت ديمتري بافلوف ، وهو عامل من سورموفو ، ماهي ، في نظره ، أبرز مزايا لينين .
— البساطة . انه بسيط ببساطة الحقيقة .
— كان ذلك بالنسبة اليه امراً صادراً عن امعان في التفكير ، ومقرراً منذ وقت بعيد .

معلوم ان ليس من قضاة اقصى على الانسان من مرؤوسيه . وقد قال لي (غيل) ، سائق لينين ، وهو رجل كثير الاطلاع :

- لينين انسان من جيلة خاصة . ليس له من مثيل . كنت مرة ذاهباً به في شارع مياستسكايا ، وكان الازدحام شديداً الى حد انني كنت اتقدم معه بعناء شديد . كنت اخشى ان تحرب السيارة ، فما كنت اكف عن اسماع صوت النفير . وكنت متهيج الاعصاب . ففتح الباب ، وجاء الى عن طريق المارش ، معرضاً نفسه لخطر السقوط ، وقال لي :

- ارجوك يا غيل ، هديء روعك ، سر مثل الناس .
انني سائق عتيق ، واعلم ان ما من احد يفعل ذلك .
ان من الصعب تصوير الفطرة والطواعية اللتين كان يركز بها جميع مشاعره نحو هدف واحد بذاته .

كان فكره كابرة (البيكار) ، متجها ابدآ نحو مضالغ طبقة الشعب الكادح . فمرة ، في لندن ، كنا ذات مساء خالين من المشاغل ، فذهبنا مع بعض الرفاق الى « الموزيك هول » وهو مسرح صغير ديمقراطي . فكان فلاديمير ايليتش يضحك بطيبة قلب ، لدى رؤية المهرجين ، ضحكة معدية مثيرة . والباقي كان لا يكتوث له . وقد جلب انتباهه ايضا مشهد كان يظهر فيه حطابون اثناء الشغل في كولومبيا البريطانية . رجلا ن قويا البنية ، يقطعان ، على الارض ، في دقبة واحدة ، جذع شجرة ، عرضه متر . فقال لينين :

- من المؤكد ان هذا كله انما هو تخدير للجمهور ، فليس في وسعها ان يشتغل بهذه السرعة : وظاهر انهم ، حتى هناك ، يستخدمون الفراغات ، فينشأ عن ذلك كثير من النفايات التي لا

نفع فيها . هاهم ، الانكليز وتقدمهم !
 وشرع يتحدث عن فوضى الانتاج في النظام الرأسمالي ، وعن
 الكمية الهائلة من المواد الاولية التي تبدد دون جدوى . وعلن
 في النهاية ، آسفا ، ان احداً لم يفكر حتى الآن في تأليف كتاب
 حول هذا الموضوع . لم تكن الفكرة التي ابداهما لينين واضحة لي ،
 ولكنني لم اجد الوقت لسؤاله ، لانه كان يتحدث عن
 « الايكستريسم » حديثاً اخذاً كأنما يتحدث عن شكل خاص
 من الفن المسرحي .

— في هذا شيء من السخرية والريبة حيال الامور المقبولة من
 الجميع ، في هذا ميل الى عرضها بصورة معكوسة ، الى تعديل
 شكلها بعض الشيء ، الى عدم اظهار معقولية العمل . . الاعتيادي ان
 هذا شيء معقد ، ولكنه مثير للاهتمام !

وبعد سنتين ، قال في كاري ل (آ. بوغدانوف - مالفينوفسكي)
 الذي كان يتحدث واثار عن الرواية الخيالية :

— ينبغي لك ان تكتب رواية تظهر للعالم كيف ان
 الاستعماريين الضواري قد نهبوا الارض ، بتبذيرهم لكل البترول ،
 لكل الحديد والخشب ، لكل الفحم . ولعل هذا الكتاب يكون
 جلد مفيد ، اها السنيور الماخي (١) .

(١) نسبته الى الفيزيائي النمساوي ارنست ماخ . والماخية هي اشد
 الاتجاهات المثالية رجعية في الفيزياء النظرية والفلسفة . وقد كانت منتشرة ،
 بصورة خاصة ، في اواخر القرن التاسع عشر . ويقول الماخيون ان المادة لا
 وجود لها بصورة موضوعية ، وان الاشياء هي من مركب الإحساسات . فلا
 وجود للاشياء خارج نطاق الجواس (قلم الترجمة) .

ولدى وداعنا في لندن ، وعدني بالمجيء الى كاري للاستجمام .
غير اني عدت فرأيتة ، قبل ذلك ، في باريس ، في مسكنه .
الطلاي الصغير ، الطلاي نجمة - اذ ليس هناك الا غرفتان فقط -
لا بالنظافة والترتيب البالغ الذي كان سائداً فيه . وبعد ان قدم
لنا الشاي ، ذهبت ناديجدا كونستانتينوفا . كانت «المعرفة» (١) ،
في ذلك الحين ، تدهور ، وكنت قد جئت الى فلاديمير ايليتش .
لا تحدث واياه عن مشروع النشر الجديد الذي يضم جميع رجال
الادب عندنا . وقد اقترحت على فلاديمير ايليتش ان يعهد الى
ف. فوروفسكي وشخص آخر بإدارة المشروع في الخارج ، وان
يكون ممثلها في روسيا ف. دزيتسكي - ستروثيف .
كان ينبغي ، في رأيي ، كتابة عدة كتب عن تاريخ الادب
الروسي والغربي ، وكذلك عن تاريخ الثقافة ، وهي كتب تسمح
للعمال بان يتقنوا انفسهم بانفسهم وتزودهم بمادة غنية للدعاية .
ولكن فلاديمير ايليتش قلب مشروعي رأساً على عقب ، اذ
ذكر بالرقابة ، وبالصعوبة التي تواجه تنظيم رجالنا ، فان معظمهم
كانوا مشغولين بالناحية العملية في الحزب ، ولم يكن وقتهم
يتسع للكتابة ، بيد ان الحاجة ، التي كانت اقوى حجة واشدها ،
اقناعا لي ، نتلخص فيما يلي : ليس هذا اوان نشر كتب ضخمة ،
فهي تغذي المثقفين الذين ينتقلون ، كما ترى ، من الاشتراكية الى
الليبرالية ، ولن يكون في وسعنا ابعادهم عن الطريق الذي

(١) عنوان المنشورات كانت تصدر في ذلك العهد .

(قلم الترجمة)

يختارونه . انما نلزمنا جريدة ، وكراريس . فيجب اعادة تأسيس مكتبة « المعرفة » الصغيرة ، ولكن ليس في الامكان طبع كل هذا في روسيا ، بسبب الرقابة كما لا يمكن طبعه هنا ، بسبب النقل . انما ينبغي لنا توزيع عشرات ومئات الالوف من المنشورات بين الجماهير . ولكن كمية كهذه لا يمكن ان تنقل الى روسيا بصورة غير شرعية . فلنرجي . اذن هذا المشروع الى اوقات افضل .

وهذه الحيوية الحارقة والوضوح اللذين كانا خاصين به ، طفق يتكلم عن (الدوما) ، وعن « الكاديت » الذين كانوا « ينجحون من كونهم او كتوبريين » والذين ليس امامهم « الا طريق واحد مفتوح : طريق اليسار » . ثم دل على علامت مختلفة تنذر بوقوع حرب قريبة و « ربما لن تكون حرباً واحدة » . وانما مجموعة حروب » . وقد تأكدت تنبؤاته بعد ذلك في البلقان .

ونفض ، ودس بحركة عادية اصابعه تحت فتحة صدره ، وشرع بخطى بطيئة ، يذرع ارض الغرفة وهو يغمز بعينه المشعتين :

— الحرب ستندلع . لا مفر من ذلك . والنظام الرأسمالي يتأكله الفساد وهو في مكانه . والناس ، منذ الآن ، مسمومون بالروح الشوفينية والقومية . اعتقد اننا سنشهد ايضاً حرباً اوروبية عامة . اما البروليتاريا فلست اعتقد انها تجيد في نفسها القوة على تفادي هذه المجزرة . وكيف يمكنها ذلك ؟ أباضراب عام في كل اوروبا ؟ ليس هناك من تنظيم او وعي كافيين لهذا الامر . ان مثل هذا الاضراب سيكون بدء حرب اهلية . ونحن ، رجاله السياسة الواقعيين ، لا يمكننا الاعتماد على هذا .

وتوقف ، وضرب الارض بقدمه وقال متجها :
- من المؤكد ان البروليتاريا ستعذب عذابا هائلا ، هذا هو
مصيرها في هذه الفترة . ولكن اعداءها سوف يستنفد بعضهم
قوى بعض . هذا ، ايضاً ، امر لا مفر منه .
واقرب مني ، وقال بشبه دهشة ، بقوة عظيمة ، ولكن
بصوت خافت :

- تأمل اذن ، لاي هدف يدفع المتخمون الجائعين الى المسلخ
ليقتل بعضهم بعضاً ! هل يمكنك ان تذكر لي جريمة اشد حقا
واكثر اثارة للاشمزاز ؟ ان العمال سيدفعون ثمنها غالبا ، ولكنهم
في آخر الحساب ، هم الذين سيربحون : التاريخ يريد ذلك .
كان يتكلم غالبا عن التاريخ ، ولكنني لم أمس عنده الضميمة
حيال ارادة التاريخ وقوته .

واثرت فيه هذه الكلمات ، فجلس الى الطاولة ، ومسح جبينه ،
وعب عبة من الشاي وسأل على حين غرة :
- ماذا حدث لك في اميركا ؟ ماذا كانت هذه الفضيحة ؟
لقد قرأت الجرائد ، واطلعت على الحادث ولكن ماذا كانت
دوافعه ؟

فقصت عليه مغامراتي بايجاز .
لم أرَ من قبل قط ضحكاً له من العدوى ما لضحك فلاديمير
ايليتش . بل لقد كان غريبا ان يستطيع رجل واقعي على هذه
الدرجة من الصرامة ، رجل يرى ويشعر ، شعوراً عميقاً ، بقرب
وقوع المآسي الاجتماعية الكبرى ، وعلى هذه الدرجة من العناد

والتشبث في حقه على النظام الرأسمالي - لقد كان غريباً ان
يستطيع رجل كهذا ان يضحك كطفل ملء فيه ، حتى تندى
عيناه بالدمع . انما يحتاج المرء الى صحة معنوية عظيمة وقوية لكي
يستطيع ان يضحك هذا الضحك .

قال لي وهو في غيبوبة :

- آه ! نعم . انك لذو دعاية ! هذا قد لا اصدقه . انه لا امر
- مسل ، جد مسل ...

واضاف جاداً وهو يمسح دموعه التي اثارها الضحك ، وقال
- بابتسامة لطيفة وطيبة :

- انك تتناول احزانك تناول الساخر . هذا حسن جداً !
ان روح الدعاية صفة ممتازة وصحيحة . اني لافهم الدعاية حق
الفهم ، ولكن ليس لي منها شيء . الا ان في الحياة ، ان صح
القول ، لاشياء مضحكة بمقدار ما فيها من اشياء محزنة . نعم ،
بمقدارها .

وتواعدنا للغد في منزله ، ولكن الطقس كان سيئاً ، وفي المساء
بصقت دماً كثيراً . وفي الغد سافرت .

بعد باريس ، التقينا بمن جديد في كليري ، حيث تركت اقامتي
فيها تأثيراً في نفسي من اغرب التأثيرات : ذلك ان فلاديمير ايلييتش
كان يلوح عليه انه جاء الى كليري مرتين وبجالتين نفسيتين اختلفت
احدهما عن الاخرى اختلافاً كبيراً .

لم يكده لينين ينزل من القارب حتى صارحني بلهجة حازمة :

— نعم ، انا عالم بالامر يا الكسي ما كسيموفيتش . انك تأمل ان تصالحني والماخين ، مع اني نبهتك في رسالي الى ان هذا مستحيل . فلا تحاول اذن .

وفي طريقنا الى البيت ، حاولت ان اثبت له انه غير محق كل الحق : فلم يكن في نيتي قط ان اوفق بين اختلافات فلسفية لم اكن افهمها ، مع ذلك ، حق الفهم . وفوق هذا فقد كنت ، منذ طفولتي ، اشعر بالحذر من الفلسفة . وكان سبب هذا الحذر ، وما يزال ، في اختلاف الفلاسفة مع تجربتي « الذاتية » الشخصية . كان العالم ، بالنسبة الي ، في اول مدته في طريق « الصيرورة » . غير ان الفلسفة كانت تلطمه على رأسه وكانت الاسئلة التي تطرحها في غير اوانها ولا مناسبة لها : « الى اين انت ذاهب ؟ لماذا تذهب ؟ لماذا تفكر ؟ » .

ولم يكن من بعض الفلاسفة الا ان يقدموا هذه الوصية ، بلهجة صارمة :

— « دع عنك كل هذا ! »

وفوق ذلك ، كنت اعلم ، من قبل ، ان الفلسفة تستطيع ، كالمرأة تماما ، ان تكون جد قبيحة ، وتكون ، مع ذلك ، على شيء من الجمال ، اذا ما تزينت ، بفن ومهارة . ضحك فلاديمير ايليتش وقال :

— هذه هي روح الفكاهة ، اما ان يكون العالم في اول بدته .

في طريق « الصيرورة » ، فهذا حسن ! فكر في ذلك جيد . انك
تصل بذلك الى حيث كان يجب ان تصل منذ زمن طويل .
ثم قلت له ان بوغدانوف ولوناتشارسكي وبازاروف كانوا ، في
نظري ، رجالا ممتازين ، متنورين جداً وعلى ثقافة واسعة ، وانه
لم يكن في الحزب من مثيل لهم .

— فليكن ، وماذا بعد في ذلك ؟

— على كل حال ، اني اعتبرهم مرتبطين بهدف واحد . بيد ان
وحدة الهدف ، اذا ما أدركت وفهمت بعمق ، من شأنها ان
تحمو وتهدم الاختلافات الفلسفية ...

— واذن ، فالامل لا يزال يراودك في ان ترانا متصالحين ؟
الا ليس ثمة من فائدة ، فاطرح عنك هذه الفكرة ، والى ابعد ما
تستطيع . انصحك بذلك كصديق . ان بليخانوف ، حسب
رأيك ، يسعى وراء هدف واحد . اما انا فاعتقد — وليكن هذا
الكلام بيننا — انه يسعى وراء هدف مختلف كل الاختلاف ،
بالرغم من انه مادي وغير ميتافيزيكي .

وهنا انتهت محادثتنا . واعتقد انه من غير المجدي التذكير
بان هذه المحادثة ليست كما جرت بالنص . غير ان محتواها صحيح .
هذا وقد لاح لي فلاديمير ايليتش اكثر عزماً واشد صلابة مما
كان في مؤتمر لندن . بيد انه كان هناك ، شديد الاضطراب ،
وكان المرء يشعر احيانا ان الانشقاق في داخل الحزب كان تقتضيه
الخطوات صعبة جداً .

اما هنا ، فكان يبدو بارداً وساخراً بعض الشيء ، وكان يبتعد

بقوة ، عن الاحاديث الفلسفية ، وبصورة عامة ، كان متحذراً .
وكان بوغدانوف ، وهو رجل لطيف ودمث الى اقصى حد ،
يجب لينين الى درجة الشغف ، ولا يخلو من بعض الانانية - كان
بوغدانوف هذا مضطراً الى سماع كلمات لازعة وشديدة الوقع :
« من يفكر بوضوح يعطى حكماً واضحاً » ، هكذا قال .
شوبنهاور . واعتقد انه لم يقل افضل من هذا . اما انت ايها الرفيق
بوغدانوف ، فانك تعرض افكارك بطريقة مضطربة غامضة .
اشرح بجملةتين او ثلاث ، ماذا يعطي « تبديلك » للطبقة العاملة ،
ولماذا كانت « الماخية » اكثر ثورية من الماركسية ؟
حاول بوغدانوف ان يشرح فكرته . ولكنه ، في الواقع ،
اسهب ولم يفصح .

فنصحه لينين قائلاً :

« - دع عنك هذا . قال احدهم ، وهو جوريس على ما اعتقد :
« ان تقول الحقيقة افضل من ان تكون وزيراً » . واضيف انا :
وماخيا ايضاً .

ثم لعب مع بوغدانوف بالشطرنج . وعندما كان يخسر ، كان
يحنق ويفتأظ ويضرب نفسه كالاطفال . الامر الجدير بالملاحظة :
ان هذا العمل الصياني ، مثل ضحكه المدهش قتما ، لم يكن يتنافى .
قط مع طبعه ، ولم يكن هذا وذاك فيه الا شيئاً واحداً !
اما في كاري ، فقد كان ثمة لينين آخر ، رفيق ممتاز يطفى .
المرح عليه ، ويبدى اهتماماً كبيراً لا ينضب بكل ما يحيط به ،
كان رجلاً من اشد الناس حنواً على القريب .

في احدى الامسيات ، كان الوقت متأخراً ، والناس جميعاً ذهبوا يتنزهون ، قال بجزن واسف كبير بمخاطباًف . اندريفا وأنا :
— انهم اناس موهوبون واذكياء ، بذلوا كثيراً لحزبنا وكان في امكانهم ان يبذلوا اكثر من ذلك بعشرة اضعاف ولكنهم لن يسيروا معنا ! انهم لا يستطيعون ذلك . فان هذا النظام المجرم افسد ومسح العشرات والالوف من امثال هؤلاء .
ومرة اخرى قال لي :

— سيمود لوناتشارسكي الى الحزب . فالروح الفردية عنده بما عند الاثنين الآخرين . انه شخص موهوب جداً . واني لاشعر تجاهه بـ « ميل خاص » . يا إلهي ، كم هي حمقاء هذه الكلمات : « يشعر بميل خاص » . ذلك اني احبه فهو رفيق ممتاز ، وعليه سياء الافرنسيين . كما ان خلفه هي ايضا فرنسية ، ونتيجة عن روحه الفنية .

وسألني ، بالتفصيل ، عن حياة الصيادين في كليري وعن اجورهم ، وعن نفوذ الحوارة ، وعن المدرسة . وكانت الاشياء التي يهتم بها كثيرة بحيث اصابني الدهشة . فقد دلوه يوماً على خوري ، وهو ابن احد الفلاحين الفقراء ، فسألهم ان يعلموه عما اذا كان الفلاحون يرسلون اولادهم غالباً الى المدرسة الاكليريكية وعما اذا كان هؤلاء الاخيريون يعودون منها كخوارة للقرى ؟

— هل فهمت ؟ اذا لم يكن هذا من قبيل الصدقة فهو سياسة الفاتيكان . وانها لسياسة لبقة !

لست ارى رجلاً له ما للينين من رفعة عن الآخرين ، عرف

كيف يصون نفسه ، عن الطمع و كيف يتم اهتماما فائقا به الناس البسطاء .

لقد كان فيه نوع من المغناطيسية التي تجتذب اليها عطف الشغيلة وقلوبهم . لم يكن يعرف اللغة الايطالية ، ولكن صيادي كابري الذين رأوا شاليابين وعدداً من الروس البارزين سرعان ما التفوا حوله كلما الحدس قد دفعهم الى هذا . لقد كان آسراً وصادقاً ضحك هذا الرجل الذي كان يستطيع ملاحظة خرق الغباوة البشرية ومكائد الذكاء البهوانية مثلاً يستطيع تذوق السذاجة الصيانية من اصحاب القلوب ... البسيطة ...

قال جيوفاني سبادارو ، وهو صياد ايطالي شيخ :

— لا يمكن ان يضحك مثل هذا الضحك الا رجل شريف .
وكان لينين ، وهو يتأرجح في قارب على أمواج تضاهي السماء بزرقها وصفائها ، يتعلم الصيد « باليد » بواسطة قصة لا صدارة لها . وكان الصيادون يشرحون له انه لا ينبغي رفع القصة قبل ان تشعر اليد بالاهتزاز .

— كوزي : درنغ - درنغ . كابيتو ؟

رفع القصة فوراً وجذبها اليه ، ثم صرخ ، باعجاب طفل وفرح صياد :

— آه ، آه ! درنغ - درنغ !

فطبق الصيادون يضحكون ، هم ايضاً ، كالأطفال ، وقد امتلأوا حبوراً ، واطلقوا عليه لقب « سنور درنغ - درنغ ! » وبعد رحيله ، كان الصيادون يسألون دائماً :

— كيف حال درنغ — درنغ ؟ ألم تنله يد القيصر ؟

الحياة معقدة تعقيداً شيطانياً ؛ فليس في وسع المرء ان يحب
بإخلاص اذا لم يكن يعرف الحقد . بيد ان ضرورة الحب من
خلال الحقد ، وانقسام النفس انقساماً يشوه الانسان تشوها تاماً ،
يكفيان للقضاء على الحياة الراحنة .

في روسيا ، البلد الذي كان يجري فيه التبشير بضرورة الالم
كوسيلة عامة لـ « انقاذ النفس » ، لم يتيسر لي ان التقي بشخص
كان البؤس والحزن والالم يثير فيه حقداً وكرها وازدراء عميقا
وقويا مثلما كان الامر مع لينين .

فكانت هذه المشاعر ، وهذا الحقد على مآسي الحياة وفواجعها ،
ترفع في نظري مكانة لينين بصورة خاصة . لان هذا الرجل كان
ينتمي لبلد 'مجدت فيه الآلام و'قدست فيه الاناجيل ، بلد تبدأ
فيه الشبهة حياتها وفق الكتب التي تعج بالارصاف المتشابهة المآسي
اليومية المبتذلة . ان الادب الروسي هو اكثر آداب اوروبا
تشاؤماً . فجميع الكتب عندي ، هدف واحد : هو الالم .
يتالم المرء في طفولته وفي سن النضج : من فقدان المحاكمة ، من
نير الاوتوقراطية ، من المرأة ، من حب القريب ، من سير الدنيا
الفاسدة . ويتالم في الشيخوخة : من الاخطاء التي ارتكبها في
الحياة ، من فقد الانسان ، من سوء الهضم ، من الموت المحتوم .
كل رومي قضى في السجن شهراً ، او نفى سنة لـ « قضية

سياسية ، ، يعتبر من واجبه المقدس ان يهب روسيا كتابا عن ذكريات آلامه . وحتى الآن ، لم يخطر في بال احد ان يصف مسرات الحياة . وبما ان الروسي معتاد ان يخترع حياته ، مع انه يحيا ، في الواقع ، حياة صالحة ، فمن المحتمل جداً ان تقيده الكتب المكرمة للحياة السعيدة فتعلمه كيف ينبغي له ان يخترع مثل تلك الحياة . .

وما كنت اقدره في لينين ، الى اقصى حدود التقدير ، انما هو ذلك الحقد الذي لا يلين ولا ينضب ، والذي كانت ثيوره في نفسه آلام الناس ، هو اقتناعه الراسخ بان البؤس ليس اساسا للوجود لا يمس ، بل مرذلة يمكن ويجب ان يتخلص منها الناس الى الابد .

كان فلاديمير ايليتش ذلك الشخص الذي غير السير المعتاد لحياة الناس ، كما لم يغيره شخص آخر من قبل . والكراهية التي تكنها له البورجوازية العالمية واضحة ظاهرة : وهي تبدو في كل بشاعتها ، ولطخاتها الزرقاء الوبائية تلمع في كل مكان لمعاناً شديداً . هذه الكراهية ، المفرقة بحد ذاتها ، تدلنا كم هو مرعب وعظيم في عينها ، فلاديمير لينين ، هذا الزعيم والمهم لبروليتاريا جميع البلدان .

لقد مات جسده ، ولكن صوته ما يزال مسموعا ، بقوة اشد وانتصار اعظم دائما ، بين شغيلة العالم كله . وليس ثمة من زاوية

على وجه البسيطة لم يدع هذا الصوت فيها العمال الى الثورة ، الى حياة جديدة ، الى خلق عالم يكون فيه الناس متساوين . ويقوم تلامذ لينين ، وورثة قوته ، بتحقيق عمله ، بقوة اعظم ابداً ، وباطمئنان وبجراح . .

كنت اعجب بارادته العظيمة للحياة ، وبمقده الضاري على النواحي السلبية من الحياة . كنت ادهش للحرارة التي يجعلها الى كل شيء . وكانت تذهلني منه قدرته على العمل الذي يفوق طاقة البشر . كانت حركاته رشيقة مليئة بالحياة ، وكانت اشارته التي هي بخيلة ولكنها قوية ، تنسجم تمام الانسجام مع خطابه الذي كان بخيلاً ، هو الآخر ، بالكلمات ، ولكنه غني بالافكار . وفي وجهه ذي الطابع المنغولي ، كانت تلمع وتبرق العينان الثاقبتان ، عينا مجاهد لا يكل ضد الكذب وآلام الحياة ، كانتا تلمعان وتطرفان وتبرقان ، وتبتسمان بسخرية وتوسلان شرر الغضب . و كان يرفقها يعطي خطابه مزيداً من الحيوية والوضوح . وكان يبدو ، احياناً ، ان حيويته التي لا يمكن كبحها ، تنبثق من عينيه شرواً ، وان كلماته المليئة بالحيوية تلمع في الهواء . وكان خطابه يثير دائماً احساساً ملموساً بالحقيقة التي لا تدحض . كان من المستغرب ومن الخارق للعادة ان يرى المرء لينين يتنزه في حديقة غوركجي ، اذ ان المرء كان معتاداً ان يتخيله جالساً في طرف احدى الطاولات الطوال ، وهو يدير احاديث الرفاق ، بابتسامته وعينه المشعيتين والذكيّتين المهودتين كرتان وراء دفته ، او يتخيله واقفاً على مصطبة ، ملقياً برأسه الى وراء راميها .

الى الجمهور المحتبس النفس الظامي، للحقيقة، كلمات واضحة بيّنة .
كانت هذه الكلمات تذكرني بالسنى البارد المنتشر من قطع
الحديد .

وبساطة مدهشة كانت تنبثق من هذه الكلمات صورة الحقيقة،
المنحوتة نحتاً فنياً .



كان ذا طبع جريء ، ولكن جراته لم تكن جراً مقلداً ذي
مصلحة ، بل كانت تُبدي فيه تلك النفسية الفريدة التي لا يملكها
الا شخص مقتنع اقتناعاً راسخاً برسائله ، شخص يحس بالروابط
المتعددة والعبيقة التي تربطه بالعالم ، ويدرك ادراكاً عميقاً دوره
في فوضى هذا العالم ، دوره كعدو لهذه الفوضى . وبالحياة نفسها
كان يلعب الشطرنج ، ويتصفح « تاريخ الملابس » ، ويتناقش مع
الرفاق ساعات كاملة ، ويصطاد بالسنارة ، ويتبع مسالك كبرى
الوعرة الملتفة بجحارة شمس الظهيرة ، ويتأمل زهور الزنات
الذهبية واطفال الصيادين الومضين . وفي المساء ، عندما كان يصفي
الى القصص عن روسيا ، وعن الريف ، كان يتنهد بشوق ويقول :
— يا لؤالة ما اعرف عن روسيا . سيبرسك ، يكازان ،

بطرسبورغ ، النفي ، وانتهى الامر !

كان يحب كل شيء فكه ، ويضحك بكل جوارحه ، « فقهة » ،
واحيانا تندى عيناه بالدموع . وكان يستطيع ان يعطي كلمته
المعمودة المختصرة « احم ، احم » ، عدداً لا ينتهي من الفروق ،

من السخرية اللاذعة حتى الشك الحذر . وكان المرء يلحظ فيه
أحيانا روح الدعاية اليهودية في الأشخاص الاذكاء ، الذين يعرفون
كل المعرفة مظاهر العجز الشيطانية في الحياة .

كان ربع القامة ، قوي الجسم ، ذا رأس سقراطي وعينين لا
يقلت منها شيء . وكان أحيانا يلتزم صمتا غريباً ومضحكا بعض
الشيء : رأسه ملقى الى وراء ومستند الى كتفيه ، وأصابعه
مدسوسة تحت أبطه ، في فتحة صدره . كانت وضعه
هذا مضحكا ولطيفاً ، ظافراً ومهاجماً في آن واحد . حينذاك ،
كانت النشوة تغمره ، ذلك الابن المجيد للعالم الملعون ، ذلك القلب
الكريم الذي كان لا بد له من الوقوع ضحية للضعف والحقد ، حتى
يقوم بعمل من الحب عظيم .



ما كان لي ان اراه ، في روسيا ، ولو من بعيد ، قبل
محاولة الاغتيال السافلة والبعيضة التي ارتكبت ضده عام ١٩١٨
ذهبت اليه ازوره . وكان لا يزال عاجزاً عن استخدام ذراعيه ،
ويصعب عليه تحريك عنقه التي اخترقها رصاصة . وجواباً على
سخطي وغبظي ، قال من غير نفس ، كما يجري الكلام عن شيء
يزعجك :

— انها المعركة . فما العمل ؟ كل امريء وما يستطيع .
كان الاستقبال ودياً جداً ، ولكن عيني عزيزي ايليتش اللتين
كانتا تريان كل شيء ، كانتا ، طبعاً ، تنظران الي ، انا ، التائه .

باصف ظاهر .

وبعد دقائق قليلة قال لي لينين بحدة :

- من ليس معنا فهو علينا . اناس مستقلون عن التاريخ ، يا للهم ! واذا ما افترضنا انهم وجدوا في الماضي ، فالיום ليس ثمة منهم ولا يمكن ان يكون ثمة احد منهم . وما من احد في حاجة اليهم . ان كل الناس ، من اولهم حتى آخرهم ، منجرون في زوبعة واقع اشد تعقيدا من اي وقت مضى . تقول اني ابسط الحياة كثيرا ؟ وان هذا التبسيط سيقتضي على الثقافة ؟

لحم ، لحم ...

واصبحت نظراته اكثر حدة ، واستمر لينين يقول بصوت

منخفض :

- واذن ففي زعمك ان ملايين الفلاحين (المويك) المسلحين بالبنادق لا يشكلون خطراً على الثقافة ؟ هل تعتقد ان المجلس التأسيسي كان يمكن ان يتخلص من فوضويتهم ؟ وانت الذي تثير كثيرا من الجلبة حول فوضوية الريف ، كان عليك ان تفهم عملنا اكثر من غيرك . يجب ان نظهر للجماهير الروسية شيئا اكثر بساطة واقرب مثالا الى وعيها . مجالس السوفييات والشيوعية ، هذا بسيط .

- تحالف العمال والمثقفين ، نعم ؟ ليس هذا رديئا ، كلا . فقل لمثقفيك ان يأتوا الينا . انهم ، في زعمك ، يخدمون قضية العدالة باخلاص ؟ حسنا ، فليأتوا الى صفوفنا ليزيدوها ضخامة . اننا نحن الذين حملنا على عاتقنا هذا العبء الضخم ، وهو ان نهض الشعب

على قدميه وان نقول للعالم اجمع كل الحقيقة عن الحياة . اننا ندل
الشعب على الطريق المباشر الذي سيؤدي الى حياة انسانية وسيخلصه
من العبودية والبؤس والذل .

وطفق يضحك وقال لي ، ببساطة :

— لهذا السبب بعينه ارسل لي المثقون رصاصة في جلدي .

وعندما دنت حرارة حديثنا الى الدرجة العادية ، قال
بغليظ وحزن :

— هل قلت مرة اننا لسنا بحاجة الى مثقفين ؟ ولكنك ترى
كم هم عدائيون ، وكم يسيئون فهم متطلبات الساعة . انهم لا
يرون انهم ، بدوننا ، لن يفعلوا ولن يصلوا الى الجماهير . فالذنب
ذنبهم اذا ما كان ثمة كثير من الاطباء المكسرة !

وكان هذا الموضوع يتكرر في جميع احاديثنا ، تقريبا . وبالرغم
من انه يبقى ، في كلامه ، حذرا وعدائيا حيال المثقفين ،
فانه ، في الواقع كان يقدر دائما اهمية الطاقة الثقافية حق قدرها ،
في غضون الثورة ، وكان يبدو انه موافق على ان الثورة في الاساس
هي انفجار هذه الطاقة نفسها التي لا يمكن ان تتطور بصورة منتظمة ،
في ظروف معيشية باطلة وضيقة .

اذكر اني زرته مرة في منزله مع ثلاثة من اعضاء اكاديمية
العلوم وكان الامر يتعلق باعادة تنظيم مؤسسة علمية في بطرسبورغ .
وبعد انصراف العلماء قال لينين راضيا :

-- هؤلاء بشر ! نعم ، انهم عقول ! ان كل شيء عندهم بسيط ،
كل شيء بتيين واضح ، وسرعان ما يرى المرء انهم يعرفون ماذا

يريدون . ان من دواعي السرور ان يعمل المرء مع اناس كهؤلاء .
وذلك الشخص هو الذي اعجبني بصورة خاصة .
ومضى شخصاً مشهوراً في دنيا العلم الروسي . وفي الغد كلمني .
تلفونيا وقال :

— سل س . اذا كان يقبل العمل معنا ؟
ولما قبل س . ذلك ، كان لينين من اسعد الناس . كانت
يفرك يديه ويقول بمازحا :
— وهكذا سنجذب الى صفوفنا ، واحداً اثر آخر ، جميع
الارخميديسيين (١) الروس والاوروبيين ، وآتئذ ، سينقلب
العالم شاء ام ابى !

يتفق لي غالباً ان اتحدث مع لينين عن قسوة التكتيك
الثوري والحياة .
فكان يسأل بدهشة وغضب :

— ماذا تريد ؟ هل يمكن ان تكون المسألة مسألة انسانية ؟
هل هذا وقت التحدث عن الطيبة والشهامة ؟ ان اوروبا تضرب
علينا الحصار ونحن محرومون من نجدة البروليتاريا الاوروبية التي
كنا نعتمد عليها : ودُبّ مناهضة الثورة يتقدم نحونا من جميع
الجهات . فهل تريد ان لا يكون علينا التزام ولا لنا حق في
النضال وفي الدفاع عن النفس ؟ هذا كثير جداً ، ونحن لسنا

(١) ارخميدس — عالم يوناني مشهور

بلهاء . اتنا نعلم ان احداً لن يعطينا ما نريد . فعلينا ان - نأخذ
نحن . هل تعتقد اني ، لو كنت مقتنعاً بالعكس ، كنت اكون
هنا الآن ؟

وسألني مرة ، بعد نقاش حاد :

— كيف تعرف عدد الضربات الضرورية وغير الضرورية في
معركة ما ؟ .

فلم استطع الاجابة على هذا السؤال البسيط الا بطريقة شعرية .
واعتقد ان ليس في وسع المرء ان يجيب عليه بغير هذه الطريقة .
كنت اتوجه اليه مراراً بجميع انواع العرائض ، وكنت اشعر
احياناً ان اهتمامي ببعض الاشخاص كان يثير في لينين شعوراً
بالشفقة علي . فكان يسأل :

— ألا يبدو لك انك تهتم بالامور التافهة ؟ .

غير اني كنت افعل ما كنت اراه ضرورياً ، ولم تكن تثني
النظرة الجانحة والغاضبة يلقيها علي " الرجل الذي كان يعرف عدد
اعداء البروليتاريا . كان يمز رأسه بأسف ويقول :

— انك تشوه سمعتك في اعين الرفاق ، في اعين العمال .

وكنت اجيب بان الرفاق ، بان العمال ، عند ما يكونون
في حالة من « التهييج والغضب » ، كانوا يتصرفون احياناً بخفة
و « بدون تكلف » تجاه حرية وحياة الناس الذين لهم قيمتهم ، وان
هذا في رأي ، تشويه لسمعة عمل الثورة الشريف والصعب ، بقساوة
لا فائدة منها ولا معنى لها احياناً ، وانه فوق ذلك ، يضر بهذا
العمل ، اذ يصرف الكثير من الناس عنه .

فكان لينين يمدّم بارتياب :

— احم ! احم !

ويذكر لي العديد من الحالات التي خان فيها المثقون قضية العمال .

كان يقول :

— ان كثيراً من المثقفين ، والكلام بيننا ، يخونون ، لا عن جبن فحسب ، بل عن اناية ايضاً ، عن خوف من ان يصبحوا في فوضى من امرهم ، عن خوف من ان تنهار النظرية التي يتسكون بها ، اذا ما اصطدمت بالتطبيق العملي . اما نحن ، فلا نخاف ذلك . لان النظرية ، او الفرضية ، بالنسبة اليها ، ليست شيئاً « مقدساً » ، وانما هي اداة عمل .

ومع كل هذا ، فاني لا اذكر مرة واحدة لم يستجب فيها لينين لطلي . واذا ما حدث احياناً ان بقي طلي بدون جواب ، فان الذنب في ذلك لم يكن يعود اليه ، بل يعود بلاريب ، الى تلك « النواقص في العمل » التي كان يعج بها عمل الدولة الروسية الثقيل . او ربما كان السبب في تمتع بعض الاشخاص السيئي النية عن تخفيف مصير الناس الذين لهم قبيحتهم ، وعن انتقاذ حياتهم ، او ربما كان في الامر ايضاً عمل تخريبي ! فالعدو وقع بمقدار ما هو ماهر الحيلة . كما ان الانتقام والحق قد يعملان عملهما ، غالباً ، بقوة الاستمرار . وكذلك هناك اشخاص مساكين ، حريصون العقول ، يجدون متعة غير طبيعية في التلذذ بالام الغير .

كان يدهشني احياناً ذلك الاهتمام الذي كان لينين يقدم به

مساعدته الى الناس الذين كان يعتبرهم أعداء له ، وذلك العناية التي
كان يوجهها لمستقبلهم . فقد كان هناك مرة جنرال شجاع لم يكن له
مهلة بالموت .

فقال لينين ، بعد ان اصى الحكائي باهتمام :
— احم ! احم ! وعلى ذلك فهو ، في رأيك ، لم يكن يعرف ان
اولاده قد ساءوا اسلحتهم في محبرة ؟ ان في هذه القصة شيئاً من
الرومنطيقية . ينبغي ان نكلف دزرجنسكي بتعويض هذه القضية ،
فان له حصناً دقيقاً في كشف الحقيقة .

وبعد بضعة ايام ، قال لي بالتلفون : من لينتظر ادراكه ؟
— سوف نخرج لي سبيل جنرالك ، واعتقد انه يطلق السراح
الان . فماذا يعتمد ان يفعل ؟

— سر كبات . كياوية ...
نعم ، نعم ، فينول . نحننا بفلينصنع البينول . واذا كان
في حاجة الى شيء ، فاخبرني ...
ولكي يخفي لينين فزحة الخي يكرهه لبقه رجلا ، كانت يعطيني
صوته لهجة سائرة .

وبعد بضعة ايام ، ملاني بمن جديد :
— كيف حال جنرالك ؟ لهو يشتغل الان ؟



في عام ١٩١٩ ، اصعب الاعوام ، عام المجاعة ، كان لينين يشعر
بالانزعاج الشديد من تناول الاغذية التي كانت الرفاق والجنود

والفلاحون يرسلونها اليه من الريف .. فعندما كانت تصل اليه الطرود في منزله الخالي من وسائل الراحة ، كان يقطب جبينه ويسرع ، بجلاء كل الخجل ، في توزيع الطحين والسكر والزبدة على الرفاق المرضى او الذين اضعفهم نقص التغذية : كان يدعوني الى الاكل ويقول :

— سأقدم لك سمكاً طازجاً ورد من (استراخان) ..

وغضت بجهته السقراطية وتطلع جانباً بعينه اللتين لا يفلت منها شيء ، و اضاف :

— يرسلون الي كل هذا ، كاني انا سيد عظيم ! كيف نبعدهم عن هذه العادة ؟ ان من الالهانة الامتناع عن القبول .. وكل الناس من حولي جوع ..

ولم يكن هذا الرجل القنوع ، الذي لا يعرف الخمرة ، ولا التدخين ، والذي ينهك من الصباح حتى المساء في عمل معقد وقاصم للظهر ، — لم يكن هذا الرجل يعرف مطلقاً كيف يعنى بنفسه ، مع انه ، بالعكس ، يسهر بغيرة على صحة رفاقه . قال لي : وهو جالس الى مكتبته ، دون ان ينقطع عن الكتابة بسرعة :

— صباح الخير ، كيف حالك ؟ بعد ثانية اكون لك .. اني اكتب الى رفيق في الريف يحسن بالضرر . انه تعب يلا ريب . وينبغي تشجيعه . ان الروح المعنوية لها شأنها !

وسألني مرة ، وكنت ذهبت الى موسكو لأرام :

— هل تعيش ؟

— نعم .

— هل تقول الحقيقة ؟

— عندي شاهد على ذلك ، مطعم الكرملين .

— سمعت ان الاكل فيه رديء .

— ليس رديئاً ، ولكن يمكن ان يكون افضل .

ثم انما لى فوزاً بالاسئلة : لماذا هو رديء ؟ وكيف يمكن تحسينه ؟ وطقق يندمدم :

— ماذا ؟ أليس في وسعهم ايجاد طاه ماهر ؟ ان الناس يشتغلون حتى الانهاك ، فينبغي ان يقدم لهم طعام جيد حتى يأكلوا زيادة .
انا اعلم ان المؤونة معدومة وانها رديئة ، فانما يلزمنا طاه ماهر .
وذكر كلمات لأحد علماء الصحة عن دور الصفات الهضمية في سير التمثيل والهضم . فسألته :

— من اين لك الوقت لتفكر بهذه الاشياء ؟

فسألني هو ايضاً :

— بالتغذية المتقنة ؟

وفهمت من لهجة كلامه ان سؤالي كان في غير محله .

تمة شخص من معارفي القداماء ب. س. شوروخدوف ، من سورموفو هو الآخر ، وهو رجل رقيق القلب ، كان يشكو من ان عمله في (التشيكا) كان صعباً عليه ، فقلت له :

— يبدو لي ان هذا العمل لا يلائمك ، انه لا يتناسب وطبيعتك .

فقال بلهجة حزينة :

— حتى بالمرّة .

ولكنه قال ، بعد تفكير :

— ولكن عندما افكر ان ايليتش ، هو ايضاً ، مجبر ، غالباً

على ان يمسك روحه من تلك ترقق، اشعر، يا لجل من ضعفي ..
لقد عرفت ، واني لاعرف ايضاً كثيراً من العمال الذين لم يكن
لهم بد ، بل ويجب عليهم « ان يمسكوا روحهم من ان ترقق » ،
وهم يصرون بشدة بانسانهم ، وان يفسروا « مثلهم الاعلى الاجتماعي »
العضوي لكي يؤمنوا انتصار القضية التي يخدمونها .

فهل كان يتفق اللينين « ان يمسك روحه من ان ترقق » ؟
: لقد كان قليل الاهتمام بنفسه ، بحيث لم يكن يتحدث عنها مع
الآخرين . كان يعرف ، خيراً من اي شخص ، كيف يلزم الصمت
عن الامام الخفية في نفسه ، بيد انه ، في احد الايام ، في غوركي
قال وهو يداعب بعض الاطفال :

— سيعيش هؤلاء الاطفال عيشة افضل من عيشتنا . ان كثيراً
من المحن لن تمر بهم . وستكون حياتهم اقل قساوة .
وأضاف بتفكير ، وهو يتأمل عن بعد قرية متينة الدعائم على
بعض الروابي :

— ومع ذلك لا احسدهم . فان خيلنا استطاع ان ينجز عملا
مدهشاً من حيث اهميته التاريخية ، ان قساوة حياتنا، التي ارادتها
الظروف ، ستكون مفهومة ومبررة . كل شيء سيكون مفهوماً ،
كل شيء !

كان يداعب الاطفال بحيلة وحذر ، مداعبة خاصة مفعمة
بالعطف والعناية .

في يوم ذهبت لاراه ، فرأيت على طاولته كتاب « الحرب .

والسلام» .

نعم ، تولستوي ا كنت اريد قراءة مشهد الصيد مرة اخرى
ولكنني تذكرت ان علي ان اكتب لاحد الرفاق . ليس لدي
متسع من الوقت للقراءة . هذه الليلة فقط قرأت كتابك عن
تولستوي .

وامتروخي على مقعده ، وهو يتنسم ويطرف بعينه ، ثم تابع
بسرعة خافضاً من صوته :

— يا له من طود ! يا له من رجل ! هذا فنان ، نعم ... وهل
تعلم ما هو جدير بالملاحظة ايضاً ؟ انه ، قبل هذا الكونت ، لم يكن
في الادب (موجيك ^(١)) حقيقي .

ثم سألتني وهو ينظر الي بعينه الطارفتين :

— اي نظير له في اوروبا ؟

وأجاب نفسه بنفسه :

— لا نظير له .

واخذ يفرك يديه ويضحك جذلاً .

كثيراً ما لمحت فيه شيئاً من الاعتزاز بالادب الروسي . وكانت
هذه الصفة في لينين تبدو لي ، في بعض الاحيان ، غريبة وماذجة ،
ولكنني ادركت فيها ، فيما بعد ، صدى لحب خفي وقوي وعميق
للشعب الكادح .

قال لي وهو يتأمل ، في كاهزي ، بعض الصيادين يحلون بجذر
شباكا مزقها وعقدها كلب مجري :

«١» الموجيك : الفلاح الروسي المستبد .

— ان صيادينا لأحذق !

ولما ابدت بعض الشك في هذا الموضوع ، قال بلهجة لا تخلو من الغيظ :

— احم ، احم ! انسيت روسيا وانت تعيش على هذه التلة ؟
قص علي ف . ديسنيتسكي ستروثيف انه كان مرة مسافراً في السويد مع لينين بالسكة الحديدية ، وكان يتصفح كتاب مذكرات عن (دور) باللغة الالمانية .

فسأله بعض الالمان الذين كانوا في نفس العربى عن هذا الكتاب وتبين انهم لم يسمعوا قط برسامهم العظيم . فدهش لينين .

ومرتين اثنتين ، قال باعتزاز لديسنييتسكي :

— انهم لا يعرفون رجالهم ولكننا نحن نعرفهم .

وفي احدى الامسيات ، في موسكو ، كان يستمع ، عند بيشكوف ، الى سمونات ليتنوفن ، يعزفها ايساي دوبروفساين فقال :

— انا لا اعرف قطعة اجمل من الـ «آباسيوناتا» . انني استمع اليها دائماً . يالها من موسيقى مذهشة وعلوية . انني افكر دائماً باعتزاز قد يكون ساذجاً . اليكم ما يمكن ان يقوم به الناس من مدهشات !

وطرف بعينه واطاف وهو يجهد نفسه ليضحك :

— غير اني لا استطيع الاستماع الى الموسيقى في اغلب الاحيان ، فهي تؤثر في الاعصاب ، وتترك المرء يرغب في ان يلفظ بهذر لطيف ، وفي ان يداعب رأس اولئك الذين هم اهل

الضراخ من اشيء جميلة كهذه ، لانهم يعيشون في هذا الجحيم .
ولكن المرة اليوم لا يستطيع مداعبة احد ، فقد ثال عضة في يدك .
ان المرء مضطر الى ان يضرب بدون ثقة ، بالرغم من اناء حسب
مثلنا العليا ، ضد كل عنف تجاه الناس . احم ، احم ! انها لوظيفة
خعبة جداً .



خلال اكثر من عام رجائي باللاح ، وعناد خارق للعادة ،
ان اسافر الى الخارج . فكانت تعتريني الدهشة : اين اللين ، الأخوذ
بمعله ، الوقت ليتذكر ان نمة مريضاً في حاجة الى استجمام ؟
سبق لي ان تحدثت عن غنائه الدقيقة الخاصة بالرفاق ، عن ذلك
الانتباه الذي كان يحزره ببصيرة نفاذة ، حتى الاشياء الصغيرة غير
السارة في حياتهم . ولكنني لم اجد لديه قط ذلك الاهتمام المغرض
الذي يكون احياناً لدى رب عمل ذكي حيال مستخدميه الشرفاء
المهرة .

كلا ، انما كان ذلك على وجه الضبط انتباهاً زاخراً بالود ،
انتباه الرفيق الحق ، هذه العاطفة الحية من ند نحو نده . اني لاعلم
ان من المستحيل وضع شارة المساواة بين فلاديمير لينين وحتى الذين
هم اكبر رجال حزبه ، الا ان ذلك كان كما لو لم يكن على علم به ،
او على الاقل لم يكن يريد ان يكون على علم به . كان قاسياً نحو
الناس في المجادلات ، فكان يسخر بهم دون ثقة ، بل وغالباً بلذع
حزائر بالمرارة .

ولكن كم مرة سمعت ، في احكامه على كدرهم الذين وبكهم قبل حين ،
— كم مرة سمعت ، بجلاء في احكامه على هؤلاء ، ملائعات اعجاب
صادق بما لديهم من مواهب وصلابة خلقية ، وبالكساح الصبور
المرهق الذي كانوا يتابعونه طيلة بطعم سنوات ١٩١٨ — ١٩٢١ ،
وسط جواسيس جميع الاقطار وجميع الاحزاب ، وسط المؤامرات
التي كانت تتقيح ، كالدمامل الطاعونية ، فوق جسم البلاد التي
انهكتها الحرب . كانوا يشتغلون دوغا راحة ، وياكلون شيئاً قليلاً
وسيراً ، ويعيشون في قلق دائم .

اما لينين فكان يبدو كأنه غير شاعر بكل ثقل ظروف ومشاكل
الحياة التي كان عذاب الحرب الوطنية الدامية يشيع الاضطراب في
احشائها . مرة واحدة ، في حديث مع م . اندرييفا ، اقلت منه ، كما
قالت ، ما يشبه الشكوى :

— ما العمل ، ايها العزيزة م . ف . ينبغي النضال . ذلك امر
ضروري ! اهذا مرهق ؟ اكيد ! وهل تظنين ان ذلك لا يكون في
بعض الاحيان قاسياً علي انا ايضا ؟ بلى ، بلى ، وكيف لا ! ولكن
انظري الى دزرجنسكي ، وتطلعي كيف اصبح ، هو ! لا مناص من
ذلك ! لا بأس ان يكون ذلك قاسياً ، شريطة ان يكون الريح اكيداً !
انا نفسي لم اسمع منه غير شكوى واحدة :

— خسارة ان لا يكون مارتوف معنا ، اية خسارة ! يا له من
رفيق ممتاز ، يا له من رجل تزيه !

واني لا ذكر كيف انطلق يقهقه قهقهة فرحة حين قرأ في مكان
ما هذه الكلمات . لمارتوف :

« ليس في روسيا غير شيوعيين اثنين : لينين و كولنتايي » .

وبعد ان ضحك طويلاً ، قال وهو يتنهد :

— آه ، ياله من رجل ذكي !

وباحترام واعجاب ، على وجه الضبط ، قال عن رئيس احدى

المؤسسات وكان قد اوصله حتى باب مكتبه :

— هل تعرفه منذ وقت بعيد ؟ يمكن ان يكون على رأس

مجلس وزراء في اي قطر من اوروبا .

ثم فرك يديه و اضاف ضاحكاً :

— ان اوروبا لا تقرر منا بالرجال الموهوبين .

اقترحت عليه ان يذهب الى الادارة العامة للمدفعية ليشاهد

جهازاً اخترعه بلشفي ، مدفعي سابق ، لتصحيح الرماية على الطائرات ،

فقال :

— وهل افهم من ذلك شيئاً ؟ ومع ذلك ، فقد وافق . وفي

غرفة مظلمة ، حول طاولة فوقها جهاز ، اجتمع سبعة من الجنرالات

الشيوخ ، ذي الشوارب البضخة ، والوجوه العابسة ، والشعر

الاسيب ، رجال علماء ، بينهم كان لينين المتواضع بالثياب المدنية

كالضائع . شرع المخترع يشرح سير جهازه ، واصفى اليه لينين

دقيقتين او ثلاثاً ، وقال بلهجة مؤيدة :

— احم ، احم !

ومضى يسأل المخترع بطلاقة ، كما لو كان يفحصه بالسياسة :

— وكيف حصلت في آن واحد ، على السير المزدوج للجهاز

الميكانيكي الذي يجدد المرمى ؟ وهل يمكن ان يربط اوتوماتيكياً

بين الجرار وشارات الجهاز الميكانيكي ؟

وسأله عن امتداد مساحة العمل ، وعن نقاط أخرى . وكان المخترع والجنرالات يجيبونه بجملة . وفي اليوم التالي حدثني المخترع :

— كنت قد قلت للجنرالات انك ستأتي مع رفيق ، دون ان اسميه ، فما عرفوا لينين ، ولا شك انهم ما كانوا ليظنوا قط انه يمكن ان يجيء هكذا ، من غير ضجيج ، ولا فصفخة ، ولا حرس . سألوني : أهو فني ، بروفيسور ؟ كانوا مشدوهين ان يكون ذلك الانسان لينين . كيف ؟ انه لا يشبهه ! وفضلاً عن ذلك من اين يعرف جميع هذه الاشياء ؟ لقد كان يسألنا سؤال رجل خبير بالتكنيك . هذه اكذوبة ! واعتقد انهم في نهاية الامر لم يصدقوني ...

وفي طريق العودة ، كان لينين يضحك ، وقد امتلاً جذلاً . وكان يقول متحدثاً عن المخترع :

— كم يمكن الخطأ في تقدير انسان ما ! كنت اعلم انه رفيق قديم شريف جداً ، ولكن من اولئك الذين « لا يقطفون نجوم السماء » . وها قد تبين ، على وجه الضبط ، انه اهل لذلك ، انه لشهم ! لقد كثر الجنرالات عن انيابهم حين ابدت شكوكاً حول استعمال الجهاز ! ولقد تعبدت ذلك ، فلقد كنت اريد ان ارى كيف يتدرون هذا الشيء الالمعي .

وطلق يضحك مقهقهاً ، ثم سألني :

— قل ، هل عمل ايضاً اختراعات أخرى ؟ ما الذي يتمتع من ذلك ؟ ينبغي ان لا يعمل غير هذا . آه ، لو ان في وسعنا ان نعطي جميع هؤلاء الفنين شروط عمل مثالية ! بعد خمسة وعشرين

عاماً ستصبح روسيا البلد الاول في العالم !

كان لينين روسياً عاش وقتاً طويلاً خارج روسيا وراقب بلاده
باعتناء . ومن بعيد كانت هذه تظهر له اكثر فتنة وروعة ، فاستطاع
تقدير قوتها الكامنة ، وموهبة شعبها الخارقة ، الموهبة التي ما يزال
الاعراب عنها ضعيفاً ، الموهبة التي سحقها التاريخ ، الموهبة المرهقة
الرتيبة ، ولكنها كانت ، في اطار حياة اسطورية مظلم ، تتجلى في
كل مكان ، وتسطع كتجوم من ذهب .

ان فلاديمير لينين ، رجل المعمورة الحق العظيم ، لم يعد له وجود .
ولقد اصاب هذا الموت قلوب الذين عرفوه بضربة مؤلمة جداً لا
ولكن شارة الموت السوداء لن تفعل غير زيادة ابراز دوره ، في
عين العالم بأسره ، كمفائد للشعب الكادح في المعمورة .
وما من قوة بقادرة على طمس المشعل الذي رفعه لينين فوق
الظلمات الخائنة ، ظلمات العالم المحتضر . ما من قوة بقادرة على
ذلك حتى ولو ازدادت حول اسمه كثافة سحب الحقد ، سحب
الكذب والافتراء .

وما من رجل فوق كرة الارض استحق مثله حقاً ذكرى خالدة .
لقد مات فلاديمير ايليتش ، وان ورثة عقله وارادته لأحياء .
انهم يعيشون ويستغلون بنجاح ، كما لم يسبق قط لشخص ان عاش
واستغل في التاريخ ..

طبع على مطابع الاستقلال

بيروت — شارع المعرض

تلفون ٩٠ - ١٦

صدر حديثاً عن دار القلم

بيروت ص . ب ٢٢٩٥

غ . ل

٧٥	الطبقة والامة (الطبعة الثانية)	غليزمين
١٥٠	اسرة زالوموف	غوركي
١٠٠	حادث فوق العادة	غوركي
١٠٠	مذكرات جاسوس	غوركي
١٥٠	طريق الحرية	هوارد فاست
١٠٠	المفتش العام	غو غول
٥٠	المجموعة الاولى	قصص الغد
١٠٠	مايا كوفسكي	الزاتريولا
١٠٠	حينما يصبق دماً	شوقي بغدادى
١٠٠	الشارع الطويل	محمد دكروب
٠	غضب الجماهير	ميشال سليمان
٠	الحرب والسلام (السادس)	تواستوي

يرسل فهرست منشورات دار القلم لمن يطلبه

